

### هبة الله بن علي بن هبة الله<sup>(١)</sup>

أبو الفضل، مجد الدين، أستاذ الدار، ابن الصّاحب.

ولاه المستضيء أستاذ الدار، وأقرّه النّاصر، وقربه تقريباً زائداً، فبسّط يده في الأموال، وسفك الدّماء، وسب الصحابة رضي الله عنهم ظاهراً، وبطرّ بطراً شديداً، وعزّم على تغيير الدّولة، وكثرت السّعايات فيه إلى الخليفة، وأشير عليه بقتله وإلا صعب أمره، فاستدعي يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول إلى دار الخِلافة، فعلم أنّه مقتول، فاغتسل غُسل الميّت، وودّع أهله، وخرّج، فمرّ على دار الطّبل قبيل الظهر، فقال لعريف الطّبّالين: دَخَلَ الوقت؟ فقال: قد قُرب، فتطير، فلما حصل في بعض الدّهاليز وثب عليه ياقوت شحنة بغداد، فقتله، وماجت بغداد، فأخرج رأسه، فعُلق بباب النّوبي، فسكن النّاس، وعمره إحدى وأربعون سنة، ووجدوا في داره [ما لم يوجد في دور الخلفاء]<sup>(٢)</sup> من العين ألف وخمس مئة ألف دينار، ومن الخيل والبغال والمماليك والجواهر والثياب بمثل ذلك.

### السنة الرابعة والثمانون وخمس مئة

فيها جهّز الخليفة ابن يونس - وكان قد استوزره - إلى همّذان، فخرج ليلة الثلاثاء ثامن عشرين المحرم نصف الليل، وسار في العساكر للقاء السّلطان طغريل على همّذان، وكان قد بعث إلى الخليفة يطلب السّلطنة، فأخرج الأموال، وجهّز جيشاً عظيماً قدّم عليهم ابن يونس، وكان في جُملة الأمراء طغرل صاحب البصرة، وأمير الحاج طاشتيكين، فأنفا من تقديم ابن يونس عليهما ولم يُعدّاه، فقال ابن يونس: والله لأرمينهم في المهالك. وسار إلى باب همّذان، والتقوا هناك، فقصر طغرل وطاشتيكين، والتفاهم السّلطان، فكسّرهم ومزّقهم كلّ ممزّق، وقتلوا وأسروا، وأخذ الوزير ابن

(١) له ترجمة في «الكامل»: ٥٦٢/١١، و«التكملة» للمنذري: ٦٦/١، و«الوافي بالوفيات»: ٣٠٣-٣٠٢/٢٧،

و«سير أعلام النبلاء»: ١٦٤-١٦٥، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

يونس، [وكان مخلوق الرأس]<sup>(١)</sup>، فأحضره بين يدي السُّلطان، فألبسه طُرُوراً أحمر فيه جَلَّاجِل<sup>(٢)</sup>، وجعل يضحك عليه، ولم يصل إلى بغداد من العسكر إلا القليل، فتقطَّعوا في الجبال، وماتوا عطشاً وجوعاً، [وكانت هذه الواقعة من جنس وقعة المسترشد]<sup>(١)</sup>، وأخذت خزائن الخليفة وخَيْله ومماليكه، [وقيل: كانت أعظم، وعمل الناس الأشعار فيها]<sup>(١)</sup>، فقال أحمد بن الواثق بالله: [من الخفيف]

أتركونا من جوائحِ الجريمه	طلعةً طلعةً تكونُ وخيمه
بركاتُ الوزيرِ قد شَمَلتْنا	فلهذا أمورنا مُستقيمه
خَرَجَ الجُنْدُ يَطلبون خُرَاسا	نَ جميعاً بأبْهاتٍ عظيمه
بخيولٍ وعُدَّةٍ وعديدي	وسيوفٍ مجرَّباتٍ قديمه
ووزيرٍ وطاقٍ طُنْبٍ ونُقْشٍ	وخيولٍ مُعدَّةٍ للهزيمه
هُم رَأوا غُرَّةَ العدوِّ وقد أقـ	بل ولَّوا وانحلَّ عَقْدُ العزيمه
وأتوننا بأوجهِ كالحاتٍ	خاضعاتٍ مسوداتٍ ذميمه
لو رأى صاحب الزمان ولو عا	ينَ أفعالهم وعُظْم المَلِيمه
قابل الكُلَّ بالنِّكالِ وناهيـ	كُ بها سُبَّةً عليهم مقيمه

واستوزر الخليفة أبا المعالي سعيد بن علي ابن حديده، ورَتَّب اسفنديار الواعظ في كتابة الإنشاء بديوان الخليفة، وكان يلقب بالموَفَّق، فلقب بمؤيِّد الدين، وخُلِّع عليه.

وفيهما نَزَلَ السُّلطان على كوكب، فرآها تحتاج إلى قتال ومصابرة، فوَكَّل بها قِيَمَاز النُّجْمِي، ووَكَّل بصفد طُغريل الجاندار، وبعَثَ إلى الكَرْك والشُّوبك كوجبا صِهْر السُّلطان، وكانت هذه الحصون الأربعة أحصنَ القلاع، ومسالكها صعبة، فرأى مطاولتها، وقَطَعَ الموادَّ عنها.

وسار السُّلطان إلى ناحية الشَّمال في السَّاحل، ففتح عِدَّة حصون، منها أنطرسوس، نازلها في جُمادى الأولى، وكان بها بُرْجان عظيمان، فأخر بهما، وقتل مَنْ كان فيهما.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) الجلاجل: جمع، مفردة جُلْجُل: الجرس الصغير.

ومنها جبلة، وكان قاضيها منصور بن نبيل، فأرسل إلى السلطان يشير عليه بقصدها، وقيل: إن القاضي والأعيان خرجوا إليه، وهوتوا عليه أمرها، فسار من أنطرسوس، وعبر تحت المرقب، وهو حصن الإسبتار في مكان ضيق، وجاء أسطول الفرنج من صقلية، واصطفت المراكب، ورموا بالزنبورك، فمنعوا العسكر من العبور، فصفت المسلمون الدرق والجفاتي على الساحل، والرماة خلفها، وعبروا، وأخذ القاضي من السلطان أماناً لأهل جبلة، وسبق به إلى البلد، وكان إبرنس أنطاكية قد سلمها إلى القاضي، ووثق به في حفظها، فنازلها السلطان، ففتح البلد يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، وامتنع الحصن عليه يوماً، ثم سلمه إليه يوم السبت بالأمان. ومنها اللاذقية، سار إليها، وهي بلدة كبيرة على الساحل، ولها قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد، ولها ميناء من أحسن المواضع، وهي من أطيب البلاد، وأحسنها عمارة، فحصرها السلطان، وأقام عليها أياماً، ففتح البلد، وغنم المسلمون منه غنائم كثيرة، لأنه كان بلد التجار، وفيه أموالهم، وكان فتح البلد يوم الخميس رابع وعشرين جمادى الأولى، فأصبح يوم الجمعة، فنازل القلعتين، وعلقوا الثقوب، فصاحوا: الأمان. فأمنهم، فخرجوا بأموالهم وأهلهم إلى أنطاكية، وولاها السلطان مملوكه سُنقر الخلاطي، وشرع المسلمون في تشويبهها، وقلع رخامها.

[قال العماد: ولقد كثر تأسفي على تلك العمارات كيف زالت، وعلى تلك الحالات كيف حالت، ولكن زاد سروري بأنها عادت للإسلام مرابع، ولشموسه مطالع<sup>(١)</sup>].

وكتب العماد إلى [اليمن إلى]<sup>(١)</sup> سيف الإسلام كتاباً منه في وصفها: وهي مدينة جامعة، وحظوة واسعة، معاقلها لا ترام، وأعلاقتها لا تُسام، وهي جنة، وكان يسكنها أهل الجحيم، وطالما مكثت بالكفر دار بؤس، فعادت بالإسلام دار نعيم.

ومنها صهيون، نازلها السلطان تاسع عشرين جمادى الأولى يوم الثلاثاء، وهي قلعة حصينة في طرف الجبل، خنادقها أودية هائلة، وليس لها خندق محفور إلا من ناحية واحدة، طوله ستون ذراعاً، نُقر في حجر، ولها ثلاثة أسوار، وكان على قلعها<sup>(٢)</sup>

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) القلة: أعل القلعة، انظر «معجم متن اللغة»: ٦٣٩/٤.

عَلَّمَ طویل، علیه صلیب، فلما شارفها المسلمون وقع الصَّليب، فاستبشروا، ونصَّبوا علیها المجانيق، وصعدَ المسلمون سور الرِّبض، وقاتلوا القلعة، فصاحوا: الأمان، وسَلَّموها ثاني جُمادى الآخرة، وبثَّ السُّلطان عسكره وأولاده في تلك النَّاحية، فأخذوا جميع الحصون التي بها، بعضها عَنوَّة وبعضها صُلحاً، مثل حصن بلاطُنس، وقلعة الجماهريين، وبكَّاس، والشُّغر، وسُرمانية، ودَرْبَسَاك، وبَغْرَاس، وأخرب السُّلطان معظمها، ومن أحصنها حصن بُرزيه، وهو على سِنِّ جبلٍ شاهق، يُضرب به المثل في المَنعة والقوَّة، وعلوُّ القلعة خمس مئة وسبعين ذراعاً، من جوانبها أوديةٌ تحيطُ بها، وصاحبها زوج أخت البرنس صاحب أنطاكية، وتعرف زوجته بدم سبيل وكانت عَيْناً للسُّلطان على الفرنج، والسُّلطان يُهدي إليها ويلاطفُها، وقاتلَ السُّلطان القلعة، ففتحها عَنوَّة، وأسرها وزوجها وأولادها، فأحسنَ السُّلطان إليهم وأطلقهم، وبعث معهم مَنْ أوصلهم إلى أنطاكية، فزادت محبتها للسُّلطان، ومناصحتها له.

وقال العماد: وآخر ما فتحنا حصن بُرزيه الذي تُضرب به الأمثال، ولا ترقى إلى ذُروتِه مَنى الآمال، فأخذناه بالسَّيف عَنوَّة، وفتحناه ضحوة، فإيا لها ضحوة أظلمت على أهل التَّليث، واشتغل المؤمنون عن ذكر الفتوح القديمة بهذا الفتح الحديث، ولو وكلنا إلى اجتهادنا في هذا الفتح وإلى نفوسنا لتعدَّر، ولكن الله سبحانه وتعالى سهَّلَ ويسَّر. وسَلَّمَ السُّلطان دَرْبَسَاك إلى عَلم الدِّين سليمان بن علي بن جَنْدَر، وهي قلعةٌ حصينة، قريبةٌ من أنطاكية.

#### ذِكْرُ عَقْدِ الهُدنة بين السُّلطان وإبرنس أنطاكية:

ولما فتح السُّلطان هذه الحصون سار يقصد أنطاكية، فنزل الجسر الحديد، فضَعَفَ قلب إبرنس أنطاكية، فراسل السُّلطان وهاداه، وكانت العساكر الشرقية قد ضَجِرَتْ، وخصوصاً عماد الدين صاحب سِنْجار، وطال عليه المقام، وضعفت همُّ العساكر عن القتال، فهادنه السلطان ثمانية أشهر بمقدار ما تستريح العساكر الشرقية، ويُطلق جميع مَنْ عنده مِنْ أسارى المسلمين، فإنَّ جاء الفرنج نجدةً، وإلا سَلَّموا أنطاكية.

وبعث شمس الدولة ابن مُنْقذ ليخلص الأسارى.

وسار السلطان إلى حلب مودعاً لعماد الدين زنكي، فودعه، وقدم له من التحف والأطراف والخيل العتاق والثياب الفاخرة<sup>(١)</sup> ما حيرته، وكذا فعل بمظفر الدين ابن زين الدين والأمراء، ويات [السلطان]<sup>(١)</sup> بحلب ليلة واحدة، وعاد طالباً دمشق، ومعه مهناً أمير المدينة [وكنيته أبو فليته]<sup>(١)</sup>، وكان ميمون النقيبة، مبارك الطلعة، [وكان السلطان قد تيمن بطلعه]<sup>(١)</sup>، ما حضر مع السلطان بلداً إلا فتحه، وكان تقي الدين بحماة، فأصعد السلطان إلى القلعة، وكان تلها قصيراً، فرفعه تقي الدين، وعمرها العمارة الوثيقة، فأعطاه جبلة واللادقية مضافاً إلى حماة، وكان السلطان قد جعل طريقه على المعرة، فزار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، والشيخ أبا زكريا المغربي، ثم دخل دمشق في رمضان.

وفي رمضان وصل وزير الخليفة ابن يونس إلى بغداد من كسرة [السلطان]<sup>(١)</sup> طغريل، وكان الخليفة قد كتب إلى بكتمر صاحب خلائط ليطلبه من طغريل، وكان قزل أخو البهلوان قد حشد [وجمع]<sup>(١)</sup>، والتقى طغريل على همذان، فانهزم طغريل إلى خلائط، ومعه ابن يونس، فأنكر عليه بكتمر ما فعل بالوزير وعسكر الخليفة، فقال: هم بدوني وبغوا عليّ، والبادي أظلم. فقال له: أطلق الوزير. فلم يمكنه مخالفته، فأطلقه، فبعث إليه بكتمر الخيل والبغال والمماليك والخدم، فردّ الجميع، وأخذ بغلين بيرذعتين، فركب هو واحداً وغلّامه الآخر، ولبس الطرطور كأنه صوفي، ووصل إلى الموصل مع قافلة، وعلم به صاحب الموصل، ففعل معه فعل بكتمر، فلم يأخذ شيئاً وقال: أريد سفينة. فأعطاه [سفينة]<sup>(١)</sup>، فنزل فيها إلى بغداد، وصعد إلى منزله، ولم يشعر به أحد، وعلم الخليفة، فأنكر على الوزير ابن حديدة حيث لم يعلم بوصوله، وكان ذلك أول ما أخذ على ابن حديدة.

وفي ثامن عشرين رمضان عزل اسفنديار عن كتابة الإنشاء، ورُتب مكانه أبو الفضل ابن القصاب، وخُلع عليه، ولقب مؤيد الدين، [قال ابن القادسي]<sup>(١)</sup>: كان اسفنديار من أهل العلم والدين، فلما ولي لیس الحرير، وتختّم بالذهب، وكان يركب في غير شيء، ويدخل في درب درب ليصاح بين يديه: بسم الله، بسم الله.

(١) ما بين حاصرتين من (م).

قال المصنف رحمه الله: وفي سؤال جلس جدِّي - رحمه الله - في دار الوزير ابن حديدة، ونسبه إلى الأنصار، وقال في حديث السقيفة: إنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال للأنصار يوم السقيفة: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فميراث معين الدِّين لا عن كلاله. ثم قال: وما يصلح لدولة الإمام النَّاصر إلا الأنصار، وقُرئ بين يديه في ذلك اليوم: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] فقال: سبحان الذي قدَّم نبينا على سائر الأنبياء، وأمتنا على الأمم، وكتابتنا على الأسفار، فأين البرهان من زهادنا، وأين من علمائنا الأحرار، ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [لقصص: ٦٨] وأين أصحاب موسى من ﴿ثَانِيكٍ أَتَيْنَ إِذْ هُمْ فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] كم بين مَنْ قال: ﴿اذْهَبِ أَنْتِ وَرَبِّكِ فَتَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤] إلى فاتح الأمصار، أَلَهُمْ كَرَمُ الْمُتَّقِ فِي زَمَانِ الْإِعْسَارِ؟ أفي المتقدمين كالمقدم في العلم والشجاعة البطل المغوار؟ كان الرسول يخضه بالخصائص، ويطلعه على الأسرار، وإذا حَمِيَ الوطيس رمى به في لجاج البحار والأخطار، بارز يوم بدر عُتْبَةَ وشيبة والوليد الكُفَّار، وعمره يومئذٍ عشرون سنة، فغلب الصَّغِيرُ الكِبَارَ، كان جبريل عن يمينه وإسرافيل عن اليسار، فوصف الحقُّ ما جرى بين أهل الرِّيحِ والخَسَارِ: ﴿هَلْدَانِ خَصْمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩] ومنه الحسن والحسين، فيا حُسْنَ تلك الثَّمار، وزوجته البتول بنتُ المصطفى المختار، وجمَعُ من شهيدٍ بدرًا ثلاث مئة وثلاثة عشر، هم أفضل الصَّحابة الأخيار، فمن المهاجرين مئة وثلاثة وثمانون، منهم الخلفاء الأربعة، وصُهَيْبُ وبلال وعمار، ومثتان وثلاثون كلُّهم من الأنصار، فمن الأوس ثلاثة وستون، ومن الخزرج مئة وسبعة وستون، فالخزرج أفضلُ في المقدار، فمنهم قُظْبَةُ ابن عامر بن حديدة، ويزيد بن عامر بن حديدة، وسُلَيْمُ بن عمرو ابن حديدة، وهم ساداتُ الخزرج الأبرار، هذا هو الفَخْرُ يا معين الدِّين، وما الحُلِيِّ المملوك كالمُستعار، يا له من نَسَبٍ إذا تَضَوَّعَ بين الخَلْقِ زاد على جُونة العَطَّار، وإذا سال سَيْلٌ كَرَمَهُ أَقْرَبَ السَّوَاقِي لِلْبَحَارِ، عَدْلُ المولى الوزير حُلِيِّ ومجلسي سِوَارِ، يا قومنا أقمَارُ لَفْظِي طلعت بالنَّهار، وأنشد: [من المتقارب]

وَحُرْمَةُ شُعْبِ عَلَى كُلِّ نَضْوٍ      بَرَاهُنَّ مِنْ أَلَمِ مَا بَرَّانِي  
إِذَا ذَكَرْتَهَا الْحُدَاةُ الْهَوَى      قَطَعْنَ الْبُرَى قَطَعَ وَجْدِي عِنَانِي

تطايِرْنَ والشُّوقُ يُذْنِي مُنَى  
 فلما عَلَوْنَ فَوَيْقَ الكَثِيبِ  
 وَبَشَّرَ نَشْرُ نَسِيمِ الحَبِيبِ  
 لقد كَمَلَ اللهُ هذا الوَازِرِ  
 أتخبرُ عن كَرَمِ السَّابِقِينَ  
 من أبيات.

وفي سؤال عَزَلَ الخليفةُ أبا طالبِ ابنِ زيادةٍ عن أستاذِ الدَّارِيَةِ، ورَتَّبَ مكانه أبا الحسنِ علي بنِ بختيارِ، وبرَّرَ توقيعَ الخليفةِ إليه: ما عَزَلْنَاكَ عن خِيَانَةٍ ولا جُنَايَةٍ، ولكن للملوكِ أسرارَ خفيةٍ لا يَطَّلِعُ عليها العامةُ ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]. فَكَتَبَ ابْنُ زيادةٍ إلى الخليفةِ: [من الكامل]

أوقعتَ عَبْدَكَ في بحارِ وساوسِ  
 وَثَنَيْتَ عِظْفَكَ عن عوائدِكَ التي  
 وتقولُ إنِّي لستُ غضباناً ولد  
 هَبْ أَنَّ ذلكَ ليس من سَخَطِ فَمَنْ  
 مَنَعْتَ محاجِرَه عن الإغماضِ  
 عُوذْتُها من خُلُقِكَ الفَضْفَاضِ  
 أسرارِ بَرَقَ صادقُ الإيماضِ  
 يَدْرِي مع الإعراضِ أَنَّكَ راضي  
 وفي رمضان تسلَّم السُّلطانُ الكَرَكِ، فَنَيْتَ أزوادهم، فسَلَّموا.

قال العماد: وتسلَّمنا الكَرَكِ، وكان صاحبه يحدث نفسه بقصد الحجاز، وقد نَصَبَ أشراكَ إشراكه منه على طُرُقِ الاجتيازِ، فأذقناه عامَ أوَّلِ كأسِ الحِمَامِ، وملكتنا حِصْنَه الذي كان يعتصم به في هذا العامِ، وتَمَّ بأخذِ هذا الحِصْنِ أَمَّنُ البَيْتِ الحِرامِ. وفي رمضان تسلَّم السُّلطانُ قلعةَ صَفَدِ، خَرَجَ إليها بالعساكرِ، ونَصَبَ عليها بالمجانيقِ، فصاحوا: الأمانِ، بعد أن قاتلوا قتالاً شديداً.

وفي ذي القعدة فُتِحَتْ كوكبِ، سار السُّلطانُ إليها وضايقها، وتعلَّقَ بها النَّقَابونِ، فصاحوا: الأمانِ. وكان قد جاء مطرٌ عظيم.

قال العماد: وسرنا إلى كوكبِ، فوجدناها في مَنَاطِ الكوكبِ، كأنها وكر العنقاءِ، أو منزل العوَّاءِ، وبها كلابٌ عاوية، وذئابٌ غاوية، وكان الوقتُ صَعْباً، والغَيْثُ سَكْباً، وتكاثرتِ السُّيولُ، وتكاثفتِ الوحولُ.

وسار الفاضل إلى مِصْرٍ لِأَمْرِ عَرَضَ لَهُ، وَوَدَّعَهُ السُّلْطَانُ، وَأَعْطَى السُّلْطَانُ أَخَاهُ الْعَادِلَ الْكَرَّكَ، وَأَخَذَ مِنْهُ عَسْقَلَانَ، وَبَعَثَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى مِصْرَ، وَالشَّامِيَّةِ إِلَى الشَّامِ.

ثم سار إلى عكا بخواصه، فأقام بقية هذا العام.

وحجَّ من العراق طاشتكين.

وفيهما توفي

### أسامة بن مُرشد بن علي<sup>(١)</sup>

ابن المُقَلَّد بن نَصْر بن مُنْقِذ، أبو الحارث، مؤيِّد الدولة، مجد الدين، الكِنَانِي. ولد بشيْزُر سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وكانت له اليد البيضاء في الأدب والكتابة والشُّعْر، غزيرَ العقل، كثيرَ الفضل، حسنَ التَّدْبِير، مليحَ التَّصَانِيف، فارساً شجاعاً، يحفظ عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية، قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَرشِدِ عِنْدَ مُحَارِبَتِهِ صَدَقَةَ بَنِ دُبَيْسٍ، وَلَمْ يَعْبُرِ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَامَ بِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى حِمَاةَ، فَسَكَنَهَا.

وقال العماد الكاتب: كان من الأمراء الفضلاء، ومتمعه بطول البقاء، وهو من المعدودين في شجعان الشام وفرسان الإسلام، أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه، لزم طريق السلامة، وتنكب سبل الملامة، انتقل إلى مِصْرَ فِي أَيَّامِ الصَّالِحِ بَنِ رُزَيْكَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ، وَمَضَى إِلَى حِصْنِ كَيْفَا، فَأَقَامَ بِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ صَالِحُ الدِّينِ دِمَشْقَ سَنَةَ سَبْعِينَ، كَانَ وَلَدُهُ مُرْهَفٌ - وَيَلْقَبُ بِالْعَضُدِ - جَلِيسَ صَالِحِ الدِّينِ وَنَدِيمَهُ، فَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ عَنْهُ، فَقَالَ: هُوَ بِحِصْنِ كَيْفَا، فَاسْتَدْعَاهُ، وَكَانَ قَدْ جَاوَزَ ثَمَانِينَ سَنَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى حِمَاةَ، فَتَوَفِّيَ بِهَا فِي رَمَضَانَ وَقَدْ بَلَغَ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَلَهُ دِيْوَانٌ مَشْهُورٌ، وَكَانَ

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٥٤٧-٤٩٨/١، و«معجم الأدباء»: ٥/١٨٨-٢٤٥،

«وفيات الأعيان»: ١/١٩٥-١٩٩، و«التكملة» للمنذري: ١/٩٥-٩٦، و«سير أعلام النبلاء»:

٢١/١٦٥-١٦٦، وفيه تمة مصادر ترجمته.

السُّلْطَانُ مُغْرَى بِشَعْرِهِ، وَكَتَ أَرَى دِيْوَانَهُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ وَهُوَ يَسْتَحْسِنُهُ، فَمِنْهُ: [من

البيسط]

دَمَعُ إِذَا عَنَّ ذِكْرَاهُمْ يُكْذِبُهُ  
أَصْبَحْتَ فِي مِضْرَى يَا مَغْرُورُ تَطْلُبُهُ  
تَارَ الْمُقَامَ فَهَلَا كُنْتَ تَصْحَبُهُ  
وَعُدْتَ لَا عُدْتَ تَبْكِيهِ وَتَنْدُبُهُ  
فَعَزَّ نَفْسِكَ عَمَّا فَاتَ مَطْلَبُهُ<sup>(١)</sup>

يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيِي مَجْتَهِدِ  
عَيْنِي عَلَيْهِ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الْأَبْدِ<sup>(٢)</sup>

وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُورُ ثَمَّتَ يَهْتَدِي  
صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَرْشِدِ  
زَمَنَ الْهَمُومِ فَتَلِكِ سَاعَةٌ مَوْلِدِي<sup>(٣)</sup>

حَبِسَتْ لِمِيزَتِهَا عَنِ الْأَنْدَادِ  
وَكَذَا السُّيُوفُ تُهَابُ فِي الْأَغْمَادِ  
لَكِنَّهُ كَالْغَيْلِ لِلْآسَادِ<sup>(٤)</sup>

مِصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَفَاتِهَا  
إِلَّا الَّذِي تُظْرِبُ أَصْوَاتِهَا

يَا مُدَّعِي الصَّبْرِ عَنْ أَحْبَابِهِ وَلَهُ  
خَلَّفْتَ قَلْبَكَ فِي أَرْضِ الشَّامِ وَقَدْ  
هَلَا غَدَاةَ النَّوَى اسْتَصْحَبْتَهُ وَإِذَا اخ  
أَفْرَدْتَهُ بِالْأَسَى فِي دَارِ غُرْبَتِهِ  
هِيَ هَاتِ قَدْ حَالَتِ الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ  
وَقَالَ فِي قَلْعِ الضَّرْسِ: [من البيسط]

وَصَاحِبِ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتَهُ  
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَمُذْ نَظَرْتُ  
وَقَالَ: [من الكامل]

قَالُوا نَهْتَهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا  
كَمْ حَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ فَدَلَّهُ  
وَإِذَا عَدَدْتَ سَنِيَّ ثَمَ نَقَضْتَهَا  
وَقَالَ فِي مَحْبُوسٍ: [من الكامل]

حَبَسُوكَ وَالطَّيْرُ النَّوَاطِقِ إِنَّمَا  
وَتَهَيَّبُوكَ وَأَنْتَ مُؤَدَّعٌ سِجْنَهُمْ  
مَا الْحَبْسُ دَارُ مَهَانَةٍ لِدَوِي الْعُلَا  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: [من السريع]

تَطَّرَقُ أَهْلَ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى  
كَالطَّيْرِ لَا يُحْبَسُ مِنْ جِنْسِهَا

(١) «الخريدة»: ٥١٨/١ .

(٢) «الخريدة»: ٤٩٩-٥٠٠/٢ .

(٣) «الخريدة»: ٥٠١-٥٠٠/١ .

(٤) «الخريدة»: ٥٠٥/١ .

وقال يمدح صلاح الدين: [من البسيط]

قريئها المُسْعِدَانِ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ  
وعونك الماضيانِ السَّيْفُ وَالْقَدْرُ  
تضاءل المظلمانِ الظُّلْمُ وَالضَّرْرُ  
أظله المهرمانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ  
سحابه المُغْنِيَانِ الدُّرُّ وَالْبِدْرُ  
قضى به الصَّادِقَانِ الشَّرْعُ وَالسُّورُ  
يُرْدِيهِمُ الْمُهْلِكَانِ الْعَدْرُ وَالْأَشْرُ  
إليهم المزعجانِ الخوفُ وَالْحَذْرُ  
من بأسه المُدْرِكَانِ السُّمْرُ وَالْبُتْرُ  
وجيشه المُخْبِرَانِ الْعَيْنُ وَالْأَنْرُ  
لسيفه العاصمانِ الحِصْنُ وَالْوَزْرُ  
ما استودع المُخْبِرَانِ الكُتْبُ وَالسَّيْرُ  
يرُوعُه الصَّارِيَانِ الذُّبُّ وَالنَّمْرُ  
تيارها الزَّاخِرَانِ البحرُ وَالْمَطْرُ  
تفضيلها الأكرمانِ الخُبْرُ وَالخَبْرُ  
أفلاكُ والنَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ<sup>(١)</sup>

لازِلْتَ يا ملكَ الإسلامِ في نِعَمِ  
تُرْدِي الأَعادي وَتَسْتَصْفِي مَمالِكَهُمْ  
فَأَنْتَ إسْكَندَرُ الدُّنيا بنُورِكَ قد  
أَعَدْتَ لِلدَّهْرِ أَيَّامَ الشَّبَابِ وقد  
وَجَادَ عَيْتُكَ نَدَاكَ المُسْلِمِينَ فَمِنْ  
وَسِرْتَ سيرةَ عَدْلٍ في الأَنامِ كما  
فَثِقَ بنَصْرِ عَلي الكُفَّارِ إِنَّهُمْ  
ثَنَاهُمْ إِذْ رَأَوْا إِقبالَ مُلْكِهِمْ  
وما الفِرارُ بِمُنْجِيهِمْ وَخَلَفَهُمْ  
وسوفَ يعفو غداً عَنْهُمْ بِصارِمِهِ  
ولو رَقُوا في ذُرَى ثَهْلانِ أَسْلَمَهُمْ  
قضى بتفضيلِهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ  
عَدْلٌ به أَمِنَ الشَّاءَ المُهْمَلُ أَنْ  
وَجودُ كَفَّ إِذا انهَلَّتْ تَفَرَّقَ في  
مكارِمٍ جُمِعَتْ فيه توافَقَ في  
فاسلَمَ وَعِشْ وابقَ للإسلامِ ما جَرَتْ الـ  
وقال في أيام نور الدين [من البسيط]:

له فكلُّ عَلي الخيراتِ مُنْكَمِشُ  
من المعاصي وفيها الجوعُ وَالْعَطَشُ<sup>(٢)</sup>

سلطاننا زاهدٌ والنَّاسُ قد زَهَدُوا  
أَيامُهُ مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ طاهِرَةٌ

ولما فارق مِضْرَ تَأَسَّفَ عَلي فراقه الصَّالِحِ بَنُ رُزَيْكِ، وكان يَجِبُهُ، وراسله الصَّالِحُ  
عَلي أن يَعودَ إلى مِضْرَ، فلم يَجِبُهُ، وَكَتَبَ إِليه يَطلبُ تَجهيزَ أَهلِهِ إِلى الشَّامِ من أَيَّاتِ،  
أولها [من البسيط]:

(١) «الخريدة»: ٥٤٦-٥٤٥/١ .

(٢) «الخريدة»: ٥١٦/١ .

أجيرة القلبِ والفُسطاطِ دارُهُمُ  
فارقْتُكُمْ مُكْرَهًا والقلبُ يُخْبِرُنِي  
ولو تعَوَّضْتُ بالدُّنيا غُبِنْتُ وهل  
ولستُ أنكر ما يأتي الزَّمانُ به  
وما أَسِفْتُ لأمرٍ فات مَطْلَبُهُ

لم تُضْغِبِ الدَّارُ لكن أضْغَبَ الكَلْفُ  
أن ليس لي عَوْضٌ منكم ولا خَلْفُ  
يَعْوِضُنِي عن نفيسِ الجوهرِ الصَّدْفُ  
كلُّ الوري لِرزايا دَهْرِهِمْ هَدَفُ  
لكن لُفْرَقَة من فارَقْتُهُ الأَسْفُ<sup>(١)</sup>

فأمر الصَّالح شعراء الدَّولة أن يوازنوا قصيدته، وقال: وأنا معكم، وكتب الصَّالح

إليه - وهي للصَّالح: [من البسيط]

آدابك العُربُ بحرٌ ماله طَرْفُ  
نقولُ لما أتانا ما بَعَثَتْ به  
إذا ذكرناك مجدَّ الدِّينِ عاودنا  
يا مَنْ جفانا ولو قد شاء كان إلى  
فَمِلْ إلينا بآمالٍ محقَّقةٍ  
كفى اغتراباً فعجِّلْ بالإيابِ لنا

في كلِّ سَمْعٍ بدا من حُسْنِهِ طَرْفُ  
هذا كتابٌ أتى أم روضةً أنْفُ  
شوقٌ تجدَّدَ منه الوجودُ والأَسْفُ  
جَنابنا دونَ أهلِ الأرضِ يَنْعَطِفُ  
وكُفَّ غَرَبَ دموعِ دَمْعِها يَكْفُ  
فمنك لا عَوْضٌ نَلْقَى ولا خَلْفُ<sup>(٢)</sup>

وقال مهذب الدِّين [الحسن بن] <sup>(٣)</sup> علي بن الزُّبير: [من البسيط]

أحبابنا مالنا عن بُعْدِكُمْ خَلْفُ  
ولو جَرَيْتُمْ ولَمَعَ البَرْقُ في قَرْنِ  
يا لائمينا على أن لا نراسلهم  
وزادني ثقةً عِلْمِي بعِلْمِكُمْ  
حَبَوْتُمونا بدُرٍّ من قَرِيضِكُمْ  
فاهتَزَّ عِظْفُ مَلِيكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

وإن يكن فطويلُ الحُزْنِ والأَسْفُ  
لكان مَع شُكُوكُمْ مَع سَيْفِهِ يَقِفُ<sup>(٤)</sup>  
ما الوجودُ مما أطاقَتْ حَمَلَهُ الصُّحُفُ  
أن المحبَّةَ أضعافُ الذي أصِفُ  
صدورنا حيثُ ترويهال له صَدَفُ  
لها وأيُّ كريمٍ ليس يَنْعَطِفُ

(١) «ديوان أسامة»: ٨٥ .

(٢) «ديوان أسامة»: ١٨١-١٨٣ .

(٣) ما بين حاصرتين من ترجمته في «خريدة القصر»، قسم شعراء مصر: ٢٠٤/١، وانظر «الروضتين»: ٢٥/٢ .

(٤) كذا في (ح)، ولم يتبين لي معناه.

وأظربته معانيه فمال به      شوقٌ إليكم ظننا أنه شَغَفُ  
وما لمثلِكُمْ عن مثلِ دَوْلَتِهِ      ومثله في جميع الأرض ينصرفُ  
وقال القاضي أبو عبد الله بن أبي جرادة<sup>(١)</sup>: [من البسيط]

ما ضرَّهم يوم جدَّ البين لو وقفوا      وزودوا كليلاً أودى به كلفُ  
أستودعُ الله أحباباً ألفتهمُ      لكن على تَلْفِي يوم النوى ائتلفوا  
الله يعلمُ أني مُغرَمٌ بهمُ      وأنني عن هواهم لستُ أنصرفُ  
فهل تعودُ ليالي الوصلِ ثانيةً      ويصبحُ السَّمْلُ فينا وهو مُؤْتَلِفُ<sup>(٢)</sup>  
فعزم على العودِ لمُضِرِّ، فقتلَ الصَّالح، وقال أسامة: [من الطويل]

أراني نهارُ الشَّيبِ قُضِي وطالما      تجاوزَ بي ليلُ الشَّبابِ سبيلي  
وقد كان عُذري أن أضلني الدُّجى      فهل لي عُذْرٌ والصَّباحُ دليلي  
قال المصنِّف رحمه الله: وقد رأيتُ ولده العُضدُ مرهَف<sup>(٣)</sup> في الدِّيارِ المِضرية سنة  
تسع وست مئة، وكان فاضلاً كَيِّساً، لطيفاً ظريفاً، متواضعاً مفنناً، وكان يحضُرُ  
مجالسي بالقاهرة، ويزورني، ويُشدني مقطعاتٍ من الأشعار، منها: [من الطويل]

وما زالتِ الأيامُ تُوعِدني المُنَى      بلُقيَاك حتى برَّحتَ بي وعُودُها  
فلمَّا تلاقينا افترقنا فليتنا      بقينا على الحالِ التي لا نريدها

#### مجاهد الدين خالص بن عبد الله<sup>(٤)</sup>

خادم الإمام النَّاصر، كان قريباً منه، سلَّم إليه مماليكه الخواص، وكان سليم  
الصِّدر، دِيناً، صَلَّى به إمامُ صلاةِ الفجر، فقرأ فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى  
النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فرفع خالصُ صوته في الصَّلَاة، وقال: صَلَّى الله عليك يا

(١) كذا كتَّاه سبط ابن الجوزي هنا، والقُرشي في «الجواهر المضية»: ٧٣/٢، وهو أبو علي الحسن بن علي بن  
عبد الله بن أبي جرادة، وسلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٢) سلفت بعض هذه الأبيات في ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٣) توفي مرهف سنة (٦١٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٤) له ترجمة في «الكامل»: ٢٦/١٢.

رسول الله. فضحك القوم، وقطعوا الصلاة، فقال لهم خالص: مجانين أنتم! يقول الله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وأسكت أنا؟! وفيها توفيت

### الإخلاقية، زوجة الإمام الناصر<sup>(١)</sup>

واسمها<sup>(٢)</sup> سَلْجُوقِي خاتون بنت قليج رسلان بن مسعود صاحب الروم، ويقال: مسعود بن قاروت بك الإخلاقية.

قدمت بغداد سنة ثلاثٍ وثمانين، وحبَّبت، وعادت إلى حِصْن كيفا، فمات زوجها، فعادت إلى بغداد سنة أربعٍ وثمانين، فتزوَّجها الخليفة، فحظيت عنده، فحكَّمها في داره وفي الخزائن والدولة، فتوفيت يوم الاثنين ثاني ربيع الأول فجأةً، فحزن عليها الخليفة حُزناً [عظيماً]<sup>(٢)</sup> لم يحزنه رجلٌ على امرأة، بحيث أقامت دورها ومقاصيرها سنين لم تفتح، وكانت كثيرة الصَّدقات والمعروف، وبنَّت عند عون ومعين تُربةً ودفنت بها، فبنى الخليفة إلى جانبها رباطاً للصُّوفية، ووقَّف عليه وعلى التربة أوقافاً عظيمة، ونقَلَ إلى التربة الكُتُب النفيسة، وأمر الناس بالتردُّد إلى تُربتها في كل ليلة رجب ونصف شعبان، ويحضر الوزير وأرباب الدولة والوعَّاظ والفقهاء والقُرَّاء، ويحضر الخليفة متخفياً، فيجلس في شُبَّاك، ويتكلَّم الوعَّاظ، وينشد الشعراء من وقت العَصْر إلى غروب الشمس، ويمضي الوزير وأرباب الدولة، ويبقى الوعَّاظ والقُرَّاء يعظون طول الليل، فإذا كان وقت السَّحَرُ فُرِّقَتْ فيهم الحلوات الكثيرة والخُشْكَنانك<sup>(٣)</sup> وغير ذلك، وعمل لها سبيلاً يخرج عليها في كل سنة ينفق فيه أموال كثيرة.

(١) لها ترجمة في «الكامل»: ٢٦/١٢، و«التكملة» للمنزري: ٨٨/١، «جهات الأئمة الخلفاء» لابن الساعي: ١١٥-١١٩، «الوافي بالوفيات»: ٢٩٦/١٥، و«مختصر التاريخ» لابن الكازروني: ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق، ويكون على هيئة هلال. انظر «المعرب»: ١٣٤، ودوزي: ٣٧٣/١.

عيسى بن مودود فخر الدين<sup>(١)</sup>

صاحب تكريت، وكان له أخوة: علي وأزغش وغيرهما، فاغتاله علي فقتله، وأظهر أن غلمانَه قتلوه، وكان حَسَنَ السَّيرة، جَوَاداً لا يَدَّخِرُ شَيْئاً، ولا يردُّ سائلاً، ولا يخيِّب قاصداً، وكان فاضلاً، ومن شعره: [من الوافر]

أرى الأيَّامَ محكوماً عليها      ولا حُكْمَ لها فعلامَ عَثْبٍ  
فلا تتوهَمَنَّ الأمرَ سهلاً      أمَّا واللَّهِ إنَّ الأمرَ صَعْبٌ  
قضاءَ اللّهِ مقدورٌ علينا      ولكن فيه للإنسانِ كَسْبٌ

محمد بن قائد<sup>(٢)</sup>

الشيخ الرَّاهِد، من أهل أوَّانا: قرية كانت بالدُّجَيْل، كان صاحبَ كراماتٍ وإشاراتٍ ومجاهداتٍ ورياضاتٍ، وكلامٍ على الخواطر، وبيانٍ عمَّا في الضَّمائر، وكان يجتمع عنده في المواسم خَلْقٌ عظيم، وكان قد أقعد زماناً، فكان يُحمل في مِحْفَةٍ إلى الجامع يوم الجمعة، واستشهد في هذه السنة، وسببه أنه قَدِمَ أوَّانا واعظُ يُعرف بالزُّرُور، فجلس بجامع أوَّانا، ونال من الصَّحابة، وكان سعود الخادم والي دُجَيْل حاضراً، فلم يُنكر عليه، فقبل للشيخ محمد: الواعظُ يسبُّ الصَّحابة وسعود جالسٌ عنده ولا ينكر عليه، فقال: احملوني، فحملوه في مِحْفَةٍ إلى عند المنبر، فصاح على الزرور: انزل يا كلب أنت ومن تعتزُّ به. وكان يدَّعي إلى سنان مقدَّم الإسماعيلية، وثار العوام، فرجموا الزرور، وهرب سعود، وتعصَّب للواعظ قومٌ، وخلَّصوه من القتل، فهرب إلى الشَّام، واجتمع بسنان، [وحكى له صورة الحال]<sup>(٣)</sup>، فيقال: إنَّ سنان بعثَ إليه رجلين في زيِّ الصُّوفية، فجاءا إلى الشيخ، فأقاما عنده بالرباط تسعة أشهر يصومان ويصليان وهو لا يعرفهما، [وكانا يتوقعان فرصة،]<sup>(٣)</sup> فقال الشيخ يوم الأربعاء

(١) له ترجمة في «الكامل»: ٤٧٧/١١، ٤٢/١٢، «وفيات الأعيان»: ٤٩٨-٥٠٠.

(٢) له ترجمة في «الوفاء بالوفيات»: ٣٥٢/٤.

(٣) ما بين حاصرتين من (م).

لأصحابه: يحدثها هنا حادثة عظيمة. وكان عنده ودائع للناس، فردّها [على أصحابها]<sup>(١)</sup>، وقال لخادمه: يا عبد الحميد، لك فيما يجري نصيب، فبغني إياه بالدولة تكون لك - والدولة بستان إلى جانب الرباط - فقال: ما أبيعك نصيبي بالجنّة، ولم يفهم إشارة الشيخ، فلما كان يوم الجمعة تهيأ الشيخ للصلاة، وكان أصحابه يأتون قبيل الصلاة، فيحملونه في المحفة إلى الجامع، فجلس عبد الحميد والإسماعيليان يقيمون باقلى لأجل الإفطار عليه، والشيخ جالس [على]<sup>(١)</sup> تحت صغير، وإلى جانبه طاقة إلى أهله لا تفتح إلا في وقت الحاجة، فقام أحد الإسماعيليين، فأغلق باب الرباط، وجاء الآخر إلى الشيخ، فقال: يا سيدي، ناولني يدك لأقبلها. فأعطاه يده، فصافحه باليسار، فقال: ويحك! وأين اليمين؟ فقال: هو ذا هي. وأخرج يده اليمنى وفيها السكين، فضربه بها في جوفه، فسقط ما في بطنه على التخت، ومات، وضرب الآخر عبد الحميد، فقتله، وقطعا خيط الباب، فوقع الصارخ وهربا، [وكان ابن قائد قد جاوز التسعين]<sup>(١)</sup>، ومرّا بين البساتين [ولم يعلم أحد، فمرّا]<sup>(١)</sup> على فلاح يسقي بستاناً، ويده مرّ [يعدل به الماء، فرأهما مريين]<sup>(١)</sup>، فحمل على أحدهما فضربه بالمرّ، فقلق رأسه فوق ميثاً، وحمل الآخر على الفلاح، فأتقاه بالمرّ [ثم ضربه بالمرّ]<sup>(١)</sup>، فقتله، وذلك إلهام من الله تعالى، ثم وقف [الفلاح]<sup>(١)</sup> يفكر ويقول: لِمَ قتلت هذين وعليهما زي الفقراء؟

وأما الشيخ محمد، فإن أصحابه جاؤوا بالمحفة على العادة، فوجدوا الباب مغلقاً، فعالجوه، [فلم يقدروا على فتحه، فكسروه، ودخلوا، وإذا بالشيخ على التخت وأمعاؤه بين يديه، وعبد الحميد مقتول عند التخت، فصاحوا، وانقلبت أوانا، وبطلت صلاة الجمعة، ولم يبق بأوانا أحد إلا وقصد الرباط، ولقوا الشيخ في ثيابه، ودفنوه على حاله، وكان تحته جلد غزال - قال المصنف رحمه الله: وقد شاهدت دمه في سنة ست مئة وهو طري على الجلد - ودُفِنَ في الرباط، وسأل الناس عن الفقيرين، فعدهما، فتيقنوا أنهما قُتلا، وأما [الفلاح]<sup>(١)</sup> الذي قتلها، فلما سمع الضجة جاء إلى الرباط،

(١) ما بين حاصرتين من (م).

وسأل: مَنْ قَتَلَ الشَّيْخَ؟ قالوا: كان عنده فقيران من صفتهمَا كذا وكذا، فقال: تعالوا. فجاؤوا، فأروهما قتيلين، فتعجبوا، وقالوا للرجل: عَلِمْتَ الغيب؟! قال: لا والله، بل أُلْهِمْتُ إلهاماً، فأحرقوهما.

وأما سعود الخادم فَإِنَّ الخليفة سَخِطَ عليه، فاستصفى أمواله، ومات تحت الضَّرْبِ، وألقي في دِجْلَةٍ.

[وقد رُوي أن الشيخ عبد الله الأرمني حضر مقتل الشيخ محمد، وسنذكره في سنة إحدى وثلاثين وست مئة<sup>(١)</sup>].

### محمد بن محمد<sup>(٢)</sup>

ابن عبد الله بن القاسم بن الْمُظْفَر بن علي، أبو حامد ابن كمال الدين الشَّهْرُزُورِي، ولي القضاء بالمَوْصِل، وقدم بغداد رسولاً من صاحب المَوْصِل، فأكرمه الخليفة، وَخَلَعَ عليه، وتوفي في جُمادى الأولى. ومن شعره: [من الوافر]

ولمَّا شَابَ رَأْسُ الدَّهْرِ غِيظاً لِمَا قَاسَاهُ مِنْ فَقْدِ الكِرَامِ  
أَقَامَ يَمِيظُ عَنْهُ الشَّيْبَ عَمْداً وَيَنْثُرُ مَا أَمَاظَ عَلَى الأَنَامِ

### السنة الخامسة والثمانون وخمس مئة

في المحرَّم أمرَ الخليفة أن يُعَهَّدَ إلى ولده أبي نصر محمد، وكان في العهد: وإنَّ أميرَ المؤمنين أنعمَ النَّظْرَ للمسلمين بتفويضِ عهده والإمامة من بعده إلى ولده عُدَّة الدنيا والدين أبي نصر محمد لما عَلِمَ من عقله الرَّاجِح، وهذيه الواضح. وذكر كلاماً بمعناه.

وبعث الخليفة ضياء الدين عبد الوهَّاب بن علي الصُّوفي ويعرف بابن سُكَيْنة إلى صلاح الدين في الخُطْبَةِ، [وبعثَ إلى جميع الآفاق، فالتقاه السلطان]<sup>(١)</sup>، فخطب له على المنابر، [وكان الخطيب بدمشق عبد الملك بن زيد الدَّولعي]<sup>(٢)</sup> وبعث جواب

(١) ما بين حاصرتين من (م)، وانظر ج ٢٢/٣٢٩ من هذا الكتاب.

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/٣٢٩-٣٣٩، و«التكملة» للمنذري: ١/١٣٦-١٣٧، و«كتاب الروضتين»: ٤/٢٣٨-٢٣٩، و«فيات الأعيان»: ٤/٢٤٦-٢٤٨، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/٦٠-٦١، وفيه تمة مصادر ترجمته.